هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

اللسانيات العربية

Allisanyat Al Arabiyah

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك
عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
العدد ٤ صفر ١٤٣٨هـ نوفمبر ٢٠١٦م

- مشروع البابطين المعجمي للشعراء وإسهاماته الضمنية في اللسانيات التوثيقية العربية

- طرق التمثيل التركيبي في اللسانيات العربية المعاصرة

- أيّ الموصولة في اللغة العربية دراسة تركيبية مقارنة

- إرادة المتكلّم ومقاصد الكلام في كتاب سيبويه

- أغلفة المجلات السعودية بين النص اللغوي والنص البصري

- الأسئلة وفعاليتها داخلَ الفصلِ في تعليم العربيّة للناطقين بغيرها

- قراءة في كتاب «النحت في اللغة العربية: دراسة ومعجم»

مشروع البابطين المعجمي للشعراء وإسهاماته الضمنية في اللسانيات التوثيقية العربية

أ. د . محي الدين محسب [*]

مدخل في الإطار اللساني للمعجم:

أشرت في دراسة سابقة [١] إلى أن هناك مؤشرات متوالية تدل على أن ثمة تحولاً حادثاً في العقود الأخيرة داخل حقل اللسانيات التطبيقية. هذا التحول يستمد أساسه من تحول في النظرية المعرفية اللسانية، وفي علوم أخرى غيرها، تمثَّلَ في الانتقال من انغلاق دراسة اللغة على مبدأ دي سوسير (اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها)، أو الانغلاق على مبدأ تشومسكي (الكفاءة اللغوية الذهنية الفطرية) إلى الانفتاح [٢]الذي تجسد – أوضح ما تجسد – في ما بات يُطلَق عليه (الثورة الإدراكية) [٣]التي كان من ثمار ما تمخضت عنه أن اللغة أصبح يُنظَر إليها على أنها مكون وطريق لاكتشاف الذات والهوية الثقافية في سياقات شبكات التحول الاجتماعي [٤]، وفي تفاعلات الإدراك الاجتماعي[٥] social cognition.

هذه المؤشرات وغيرها تفضي إلى أن قضية (الهوية) باتت مطروحة بقوة على اللسانيات التطبيقية، وبخاصة فيما يتعلق بنظرية التخطيط اللغوي والاعتبارات التي ينبغي للمؤسسات القائمة عليه أن تأخذها في الحسبان عند وضع سياساتها اللغوية. ولقد أدى شغل قضية الهوية أهميةً محورية في اللسانيات التطبيقية إلى تأثير واضح في علم الصناعة القاموسي، أو ما أفضل أن أسميه بـ(القاموسيات في مقابل lexicography) – الذي هو أحد مجالات اللسانيات التطبيقية. لقد أصبح المعجم الجيد – على حد تعبير عدد من الباحثين – صفحاتٍ «من الأفكار والتاريخ، تدل على

* – أستاذ العلوم اللغوية وعميد كلية دار العلوم الأسبق.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

عقل وعالم بشرٍ معينين»[٦]. وفي قول آخر أصبح النظر إلى القواميس يراها «نتاجات ثقافية واجتماعية يضعها أناس من أجل إشباع حاجات معينة»[٧]. ومن ثم استلزم الأمر أن يُنظَر إلى ما يحمله المعجم من معان رمزية تتعلق بهوية، أو هويات، المستهدفين من هذا المعجم، وتتعلق باختيار مصنِّف المعجم لتعزيز مكانة تنويعة لغوية معينة في تجسيد هذه الهوية[٨]. أو لنقل بصيغة أخرى إن الأمر استلزم بصفة عامة أن يُنظَر إلى الكيفيات الصريحة والضمنية التي يعمل بها المعجم على صيانة الذاكرة الثقافية cultural memory وتفعيل مكوناتها.

وهنا لا بد أن نتوقف برهة لنقول إن موضوع (الذاكرة الثقافية)، أو (الذاكرة الجمعية) أو (الذاكرة الاجتماعية) – وكل ذلك مترادف – أصبح في أثناء العقود الأخيرة، وتحديداً منذ عقد الثمانينات من القرن العشرين الميلادي الماضي، يشغل مكانة مرموقة في عدة اختصاصات علمية مستقلة أو متداخلة. وبطبيعة الحال فإن الدراسات اللسانية والدراسات الأدبية تدخلان ضمن هذه الاختصاصات. ولعل نظرة في الكتاب الذي حرره كل من (أستريد إيرل Astrid Erll) و(أنسجار نونينج Ansgar Nünning)[٩] كافية للوقوف على أن مفهوم (الذاكرة الثقافية) يعني «تفاعل الحاضر والماضي في السياقات الاجتماعية– الثقافية»[١٠]، وأن ثمة تطورات واتجاهات متنوعة تنضوي تحت مصطلح (دراسات الذاكرة الثقافية) يهمنا منها في سياقنا الحالي ما ورد في القسم الثاني من الكتاب تحت عنوان (الذاكرة والتاريخ الثقافي)[١١]، وما ورد في القسم الخامس تحت عنوان (الأدب والذاكرة الثقافية)[١٢]، وأخيراً لعلها كافية للوقوف على أن الدراسات المتعلقة بـــ(الهوية) تأخذ نصيب الأسد – على حد تعبير (أستريد إيرل) أحد محرري الكتاب – من دراسات الذاكرة الثقافية[١٣].

والسؤال المطروح هنا هو إلى أي مدى تشتغل قضية الهوية في معجمات البابطين الشعرية؟ وما آثار ذلك في تحقيق هذه المعجمات للأهداف المتوخاة في التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية[١٤] للعربية؟.

وقبل الدخول في إجابة هذا السؤال لا بد من الإشارة إلى أمر آخر. فمن الملاحظ في اتجاهات البحث اللساني العربي المعاصر ذلك الغياب الذي يكاد يكون تاماً لأحد هذه الاتجاهات؛ وهو اتجاه اللسانيات التوثيقية documentary linguistics

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الذي هو أحد فروع اللسانيات الوصفية. ويعَرَّف هذا الاتجاه بأنه ذلك العلم «المعنيُّ بالمناهج والأدوات والأسانيد النظرية لوضع مدونة متعددة الأغراض ومتواصلة وممثلة للغةٍ طبيعية معينة أو لإحدى تنويعاتها»[١٥].

وإذا كان رائد هذا الاتجاه وهو اللساني الألماني نيكولاوس هيميلمان Nikolaus P. Himmelmann يحدد مجال عمل اللسانيات التوثيقية بأنه «المجتمعات اللغوية المعروفة بشكل ضئيل» فإننا نرى أن التعريف المذكور – وهو من وضع هيميلمان نفسه – ينطبق على أي مدونة في اللغة سواء أكانت هذه اللغة معروفة بشكل واسع أو بشكل ضئيل. ومن ثم فإنه يمكن تطبيق معايير هذا العلم على تلك المدونة التي نحن صَدَدَها وهي معجمات البابطين الشعرية التي وُضعت في العربية التي هي لغةٍ مديدة التاريخ، وواسعة الانتشار.

على أنه من المهم هنا أن نشير إلى علاقة اللسانيات التوثيقية بقضايا التخطيط اللغوي، من جهة، وإلى علاقة القاموسيات – وهي أحد مجالات التخطيط اللغوي – باللسانيات التوثيقية، من جهة أخرى. فأما العلاقة الأولى فيمكن أن نستنبط وجودها من إشارة هيميلمان إلى أهمية اللسانيات التوثيقية بالنسبة للمعلمين ومخططي اللغة، والسياسيين، والرسميين الحكوميين المعنيين بالأقليات اللغوية[١٦]. ولعل الأمر الذي له مغزاه هنا هو إشارة باحثَيْن مرموقين في القاموسيات إلى أن أحد فروعها؛ وهو فرع القاموسيات التوثيقية documentation lexicography من مهامه أن يضع حلاً لـ «مشكلة قومية أو مشكلة علمية عامة»[١٧]. وأما عن مكانة القاموسيات في اللسانيات التوثيقية، وبخاصة مكانة قاموسيات المدونة[١٨] corpus lexicography، فيمكن استنباط وجودها من بحث جون هافيلاند .John B Haviland: «توثيق المعرفة المعجمية Documenting lexical knowledge الذي تضمنه كتاب (اللسانيات التوثيقية)[١٩]. ولقد بدا واضحاً في السنوات الأخيرة تزايد الاهتمام بدور (المدونات) في البحث اللساني النظري والتطبيقي.

إننا إذن أمام منظومة متضافرة من العلاقات بين (اللسانيات التوثيقية) و(القاموسيات التوثيقية) و(التخطيط اللغوي). ولا شك أن كل ذلك يصب في المحصلة في صالح النظرية اللسانية بصفة عامة. ولعله يكفي أن أورد خلاصة ما انتهى إليه بحث قيّم في مجال النظرية اللسانية عندما قال «إن النتيجة التي نصل إليها هنا هي

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أن التوثيق، وليس الوصف اللغوي التقليدي، يجب أن يشكّل الأساس، وأن يعطي المدخلات، للتنظير اللساني. فتقديم المادة الأولية، بدلاً من ملخص المادة...مع تقديم المعلومات الإضافية والملحوظات على الاستعمال، والسياق، وأدوار اللغة في المجتمع اللغوي المستهدف، هو وحده ما يجدي النظرية اللسانية وينفع فهمنا للغة»[٢٠].

وعلى ضوء هذه المنظومة فإننا سنعالج في هذا البحث كيف أن مشروع البابطين المعجمي للشعر العربي يمثل جهداً في اللسانيات التوثيقية، وبالتحديد في فرعها (القاموسيات التوثيقية)، وكيف أن هذا الجهد يقوم بجملة من الأدوار الضمنية التي تصب في الغايات المأمولة للتخطيط اللغوي للعربية.

ولكن قبل الشروع في إنجاز هذه الغاية أود التنويه بأن ما نقصده بـ(مشروع البابطين المعجمي للشعراء) هو المعجمان اللذان أصدرتهما مؤسسة البابطين: الأول هو (معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين)، الصادر في طبعته الأولى عن مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عام ١٩٩٥م، وصدرت طبعته الثانية عام ٢٠٠٢ في سبعة مجلدات، والثاني هو (معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين) الذي جاءت طبعته لعام ٢٠٠٨م في ٢٥ مجلداً. فالمعجمان معاً يشكلان مشروعاً، أو بالأحرى يمثلان خطوتين في مشروع ممتد يتعلق «بالتوثيق العلمي للشعر العربي عبر عصوره التاريخية»[٢١]. فليس ثمة إذن إمكان للفصل بينهما معرفياً أو منهجياً، حيث إن كل واحد منهما يلقي الضوء على الآخر. ولذلك يقول عبد العزيز البابطين – رئيس الهيئة الاستشارية للمعجمين: «يحق لنا الاعتزاز بأننا في (معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين) وفي (معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين) نقدم لوحة شاملة للإبداع الشعري العربي في العصر الحديث لم نسبق إليه»[٢٢]. هذا من جهة أولى. أما الجهة الأخرى فهي أننا نتصور أن الفحص التكاملي بين المعجمين يزيد من الإضاءة الكاشفة لدور هذا المشروع المعجمي في قضية التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية العربيين.

البنى المعلوماتية:

لعل أول ما نرصده هنا أن كل واحد من معجمي البابطين إنما هو معجم اختصاصي، وليس معجماً عاماً في الثروة اللفظية للغة العربية. ومن ثم فهو كشأن

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أي معجم اختصاصي يقوم على تقديم خدمة معلوماتية في موضوع اختصاصه. فهو ينطبق عليه القول بأنه «أداة معلوماتية؛ أي أنه منتج لنمطِ مستخدِم معين له متطلبات معينة واحتياجات معلوماتية معينة في أنماط معينة من المواقف» [٢٣]. ولا شك أن هذه الحقيقة تدركها المجتمعات المتقدمة علمياً وثقافياً. ففي الولايات المتحدة مثلاً تصدر مجموعة جايل Gale Group (قاموس السير الأدبية Dictionary of Literary Biography) منذ عام ١٩٧٨م، وإلى عام ٢٠٠٦م صدر من سلسلته ٣٧٥ مجلداً، تشمل ثلاثة وعشرين كتاباً سنوياً، وخمسة وأربعين مجلداً توثيقياً، وشملت السلسلة السير الخاصة بـ ١٣,٥٠٠ مؤلِّفاً، وإلى هذا العام نفسه حُوِّل ما يقارب ٨٥٪ من السلسلة إلى الرقمنة على الشبكة الدولية للمعلومات. وضمن هذه السلسلة صدر مثلاً عام ٢٠٠٥م (قاموس الحياة الثقافية العربية من عام ٥٠٠ إلى عام ٩٢٥) وقام على تحريره مايكل كوبرسون Michael Cooperson أستاذ اللغة العربية والأدب العربي في قسم لغات الشرق الأدنى وثقافاته بجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس، والذي اشتهر بعبارته التي استهل بها مقدمة كتابه (السير العربية): (إذا كان الشعر هو أرشيف العرب فإن كتابة السير هي أرشيف المسلمين)[٢٤].

وإذا كانت القاموسيات علماً وثيق الصلة بعلم المعلومات [٢٥] information science فإن هذا التشخيص الأولي لمعجم البابطين يطرح السؤال التالي: ما الحمولة المعلوماتية التي قام معجم البابطين بعبء رصدها أولاً، ثم توثيقها ثانياً، ثم إخراجها ثالثاً للقارئ أو المستخدم الذي افترض واضعُ المعجم أنه بحاجة إلى هذه الحمولة المعلوماتية في مواقف معينة؟ والجواب هو أن المعجم الأول موضوع للجمع المعلوماتي والنصوصي المتعلق بالشعراء العرب المعاصرين، والثاني موضوع للجمع المعلوماتي والنصوصي المتعلق بشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين. وبخصوص المعجم الأول يمكن أن نقف عند عبارة عبد العزيز السريع التي وردت في سرده لقصة وضع المعجم حيث يقول «ويسعد مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن تقدم هذا الإنجاز تسجيلاً لواقع الشعر العربي من خلال جملة النماذج الشعرية المختارة للشعراء العرب المعاصرين». والحقيقة أن (النماذج الشعرية المختارة لكل شاعر) إنما هي عنصر من عناصر البنية المعلوماتية [٢٦] التي يحملها الحيز المخصص لكل مدخل من مداخل المعجم؛ أي المدخل المخصص لكل شاعر، فهناك

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

العنصر المتعلق بنبذة سيرية لكل شاعر، وأحياناً هناك معلومات خاصة بما كُتب عن الشاعر من دراسات. كما أن المعجم نفسه في بنيته الكلية يقدم حمولة معلوماتية تضاف إلى البنى المعلوماتية الواردة تحت مداخله. ونشير هنا بصفة خاصة إلى البنى المعلوماتية المتمثلة في ما كتبه الدكتور أحمد مختار عمر (رحمه الله) عن (خطة المعجم)، وفي ما كتبه عبد العزيز السريع تحت عنوان (قصة المعجم)، وفي دراسة الدكتور محمد فتوح أحمد (توطئة نقدية)، وفي عشرين دراسة أخرى وردت تحت عنوان (دراسات في الشعر العربي المعاصر)، وفي بند إحصائيات. ونظراً إلى أهمية عنصر الدراسات في إبراز الدور المعلوماتي لمعجم البابطين الأول فإننا نقف عند تشخيص الرؤية التي انطلقت منها هذه الدراسات؛ حيث ورد أن منهجها «يقوم على المحاور التالية:

أولاً: تقوم الدراسة على استعراض خريطة الشعر في المنطقة المطلوب الحديث عنها، منذ بداية النهضة الأدبية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وحتى اليوم، مع التركيز على حاضر الشعر ومواصفاته الآنية من خلال الشعراء الكبار الذين كان لهم دورهم في حركته وخاصة شعراء العقود الثلاثة الماضية ممن أدركهم الموت ولم يضمهم المعجم.

ثانياً: تتحرى الدراسة التطورات الكبرى والخطوط العريضة، ولا تغرق في التفصيلات أو الأسماء أو الأماكن.

ثالثاً: تحاول الدراسة المطلوبة تلمس الظواهر المشتركة بين شعر البيئة، والشعر العربي ككل كي تكون النظرة إلى الشعر العربي بكل شمولها، ولكي تظهر السمات المحلية في إطار توحدها مع مثيلاتها في بقية البيئات، فربما كشف هذا عن تيارات عامة في الشعر العربي لم تظهر بكل جلائها حتى الآن.

رابعاً: الدراسة وصفية أكثر منها معيارية، وهي راصدة أكثر منها تقويمية، وينبغي التركيز على المتفق عليه من التصورات الأدبية والنقدية مع تحاشي مواطن الاختلاف ودرجات المفاضلة بين الأماكن والأشخاص ما أمكن.

خامساً: للعوامل السياسية والاجتماعية والثقافية دورها في الوصف والتفسير والتحليل، غير أنه يستحسن في مقام العوامل السياسية رصد العام والمتفق عليه منها، دون الانحياز أو شبهة الانحياز إلى فصيل سياسي أو آخر.

سادساً: يلحق الباحث بدراسته قائمة ببليوغرافية بأسماء أعلام الشعراء في النطاق الجغرافي الذي يدرسه تتضمن: الاسم وتاريخ الميلاد والوفاة ما أمكن ذلك» [٢٧].

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أما بخصوص البنى المعلوماتية في المعجم الثاني فهي تشمل: التصدير الذي وضعه عبد العزيز سعود البابطين، وخطة المعجم وعنوانها الفرعي (معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: المنهج والإجراءات) وقد وضعها الدكتور محمد فتوح أحمد، وبند (إلمامة) وقد وضعه عبد العزيز السريع، أما المكون البنيوي المعلوماتي المتكرر فهو ما يشمل العناصر الواردة تحت اسم كل شاعر؛ وهي خمسة عناصر:

١- سيرة الشاعر.

٢- الإنتاج الشعري.

٣- مصادر الدراسة.

٤- عناوين القصائد (المختارة كنماذج من إنتاجه).

٥- وملاحظات القراء؛ (وهو بند تفاعلي تضمنته الطبعة الإليكترونية من المعجم).

وبطبيعة الحال فإن هذا المكون الأخير، أي البنى الفرعية الخاصة بالشعراء، هو المكون الأساسي في البنية المعلوماتية الكلية للمعجم. وهو مكون اختلفت معايير تكوينه بين معجمي البابطين الأول والثاني، وذلك لاختلاف حال الشعراء في كل معجم. ففي المعجم الأول الخاص بالشعراء المعاصرين خضع تكوين البنى المعلوماتية الخاصة بهم لجملة معايير تمثلت في ما يلي:

١- الاعتماد على اختيار الشعراء أنفسهم لنماذجهم الشعرية المقدمة.

٢- اتباع مجموعة من الضوابط والمعايير الفنية؛ وأهمها:

أ- السلامة اللغوية.

ب- السلامة الموسيقية.

ت- المستوى الجمالي والفني

٣- قبول تعدد الانتماء النوعي للقصيدة: العمودية، وقصيدة التفعيلة، وقصيدة النثر.

٤- استبعاد من لا يرقى إلى مستوى المعجم.

٥- تصفية النماذج الشعرية تبعاً لعدد من الاعتبارات والمواصفات: حيث تم استبعاد القصائد ذات المضمون السياسي المباشر، أو التي تتعرض للأديان والعقائد.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

٦- تضمين ما كُتِب عن شعر الشاعر من دراسات؛ وذلك بغية إلقاء الضوء على إنتاج الشاعر.

٧- توحيد الحيز المخصص لكل شاعر في المعجم وهو صفحتان متقابلتان.

أما في المعجم الثاني فبطبيعة الحال لم يكن ثمة اختيار للشعراء أنفسهم لأن المعجم مختص بشعراء القرنين التاسع عشر والعشرين الذين لم يكونوا عند وضع المعجم الأول أحياء ليشملهم. ومن ثم فإن واضعي المعجم الثاني كان لديهم الحرية في اختيار النماذج التي تلبي «الاعتبارات والمواصفات»؛ فـ«روعي في اختيار النماذج الشعرية تفضيل انتقاء الأجود، وتقديم النصوص التي تطرح تجارب إنسانية ووجدانية تمس الشعور الجمعي المشترك، وتتسم بالأصالة والابتكار، مع الحرص - في الآن ذاته - على التمثيل لمختلف تجارب الشاعر». كذلك جاء اختلاف آخر هو التفاوت الكمي في حيز الصفحات المخصص للمادة الشعرية لكل شاعر؛ إذ «لم يعد ممكنًا التسوية بين حجم النتاج الشعري الذي شهده الشطر الأخير من الحيز الزماني للمعجم وذلك الشطر الذي استهلت به العقود الأولى والوسيطة من القرن التاسع عشر، ناهيك عن تفاوت الشعراء أنفسهم من حيث العطاء، وتنوع إبداعهم قلة وكثرة، وقوة وضعفًا، واختلاف قاماتهم الفنية، بما يجعل من التسوية المطلقة بينهم في حجم المادة الشعرية حيفًا ظاهره الإنصاف. من ثم رأت هيئة المعجم تصنيف من يندرجون في المعجم إلى طوائف ثلاث: من يقتضي امتلاء سيرته وغزارة نتاجه ست صفحات أو حولها، ومن يقتضي الأمر معه أربع صفحات أو نحوها، ومن تكفيه صفحتان فحسب، وهذه الطائفة الأخيرة هي الجمهرة العظمى من شعراء هذا المعجم».

أما عن الضوابط والمعايير الفنية فقد تمثلت في المعجم الثاني في «السلامة اللغوية، والصحة الإيقاعية، والمائية الشعرية». ويأتي بيان هذه الثلاثية المعيارية على النحو التالي: أول هذه المعايير - كما سبق أن أومأنا - سلامة اللغة الشعرية؛ إذ الشعر فن باللغة، وبها يصبح الشعر شعرًا، وبدونها لا يتحقق، ومع ذلك كان المعجم من المرونة بحيث سمح بنماذج تقتضي إصلاح هذه الكلمة أو تلك، ما دام هذا الإصلاح ممكنًا، وفي حدود ما تقتضيه الضرورة، أما إذا فشت ظاهرة الاختلال اللغوي فإنها تقدح في شعرية النموذج، وتعدل عنه إلى غيره، كما تعدل عن صاحبه عدولاً تامًا إذا كانت كل نماذجه عرضة للاهتراء اللغوي. أما ثاني المعايير فهو صحة الإيقاع، وفي إطار هذا

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

المعيار جاءت كثرة النماذج من الشعر العمودي، كما جاء كثير منها من شعر التفعيلة، على حين جاء أقلها من قصيدة النثر، شريطة أن يكون لصاحبها تجارب إبداعية سابقة، بحيث يكون التجاؤه إلى هذا الضرب من القول تتويجًا لمسيرة ممتدة في العطاء الشعري بمختلف تجلياته الجمالية. أما ثالث المعايير فهو تمتع النموذج الذي يندرج في المعجم بمائية الشعر، ونعني بمائية الشعر تلك المادة الخفية المستسرّة التي تنسرب في ذائقة المتلقي انسراب النسغ في شرايين الزهر، فليس الشعر بما تسمعه من رنات أجراس الكلام في القصيدة، بل هو - كما يعرفنا جبران خليل جبران - «بما يتسرب إليك من القصيدة مما بقي ساكتًا هادئًا مستوحشًا في روح الشاعر، وبما توحيه إليك الصورة فترى وأنت محدّق بها ما هو أبعد وأجمل منها». وهنا لا بد من الإشارة إلى أن توخي مثل هذه المعايير الجمالية ربما يظل دائماً هو مثار اختلاف التداول الذوقي والمعرفي والثقافي. ولكن الأمر الذي لا شك فيه أنه مهما كان اختلاف التداول الذوقي فإن نصوص (المنظومات العلمية) التي استبعدها المعجم الثاني لا يدرجها الخطاب الاجتماعي العرفي ولا الخطاب المعرفي في جنس الشعر. ومن ثم كان الحرص على «تقديم النصوص التي تطرح تجارب إنسانية ووجدانية تمس الشعور الجمعي المشترك». وعند هذه النقطة يقف البحث أمام أطروحة (الشعور الجمعي المشترك). فهذه أطروحة تقع في لب قضية الهوية. وهذا ما يقودنا إلى حديث المحور التالي من هذا البحث.

عتبات المعجم والطرق على باب الهوية:

(العنوان) و(الإهداء) و(التصدير) و(المقدمات) من المقولات الأساسية في نظرية عتبات النص التي انطلقت على يدي جيرار جينيت عام ١٩٨٧م. ولقد جاء عنوان معجم البابطين الثاني هكذا «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين». وهو عنوان يشير -كما يقول عبد العزيز السريع - «إلى أنه يضم تراجم للغالبية الساحقة من الشعراء الذين كتبوا بالعربية سواء أكانوا شعراء عربًا أم من غير العرب، فأتيحت الفرصة لاحتواء الشعراء الأفارقة والآسيويين والأتراك، وغيرهم ممن أبدعوا شعرهم بالعربية»[٢٨]. والسؤال الآن: ما مغزى هذا العنوان؟ وما دلالة عبارة السريع الشارحة؟ من الواضح هنا أن النظرة إلى (العربية) تراها

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

هوية جامعةً تتجاوز الهويات الجغرافية أو هويات الجنسيات والأمم والقوميات. وتحت عنوان (استكشاف قارة الشعر العربي)، وهو عنوان باستعارته الإدراكية الجغرافية تلك ينهض بمغزى دالّ. يقول البابطين في تصدير المعجم الثاني «كان علينا أن نستكشف قارة كاملة للشعر العربي في العصر الحديث على مدى القرنين التاسع عشر والعشرين وعلى امتداد الجغرافيا العربية، ولم تكن حدود الشعر العربي مؤطرة بالوطن العربي، بل إن غواية الشعر العربي قد امتدت مع اللغة العربية إلى كثير من الشعراء المسلمين من غير العرب الذين أسرتهم اللغة العربية، ووجدوا في الشعر العربي تأكيداً لانتمائهم إلى الجماعة الإسلامية»[٢٩]. وهذا القول مؤداه أن ثمة في لاوعي جماعة المعجم – أو في الخطاب الضمني للمعجم – حلماً قوامه (أن الشبيه ينتج الشبيه): فالهوية الجامعة التي أسست قارة الانتشار العربي والإسلامي في جغرافية العالم في عصرٍ ماضٍ قديم، يمكن استعادتها عن طريق إنشاء قارة الانتشار الشعري العربي في العصر الحاضر! هذا الحلم بأن يكون إنشاء قارة الشعر مدخلاً لإعادة إنشاء قارة الهوية العربية هو ما يجعل واضعي المعجم يشيرون بوضوح إلى أن حركة الإحياء الشعري في القرن التاسع عشر تجسد في أحد جوانب جوهرها (العودة إلى المنابع)، وهي «عودة لا تخلو من مغزى حضاري، حين تتخذ من هذه (المنابع) ذخيرة لها في مواجهة الآخر، الذي كان يحاول في هذه الحقبة من زمن القرن التاسع عشر نسخ ماضي الأمة ومسخ حاضرها، كما لا تخلو من مغزى تاريخي فحواه توكيد الذات العربية بأبرز وأعرق ما يجلو هويتها ويبرز أصالتها؛ نعني (القول المنظوم) الذي اعتبرته هذه الذات (ديوانها) الذي لا يعتريه نسخ ولا مسخ ولا تحريف، ولا جرم أنه سجّل مفاخرها وقيَّد مآثرها كما كان الجاحظ يقول»[٣٠].

وعلى أية حال فإننا إذا أضفنا إلى ذلك تأكيد واضعي المعجم بأنهم لم يستثنوا من الشعراء «أحداً بسبب انتمائه الديني أو المذهبي أو اتجاهه السياسي أو الشعري إلا من وقع في خطيئة (التهافت) الفني أو الأخلاقي»[٣١]، فإن هذه الهوية اللغوية الشعرية الجامعة تبدو في اعتبارات الهيئة الواضعة للمعجم وهي تشغل مكانة الصدارة بالنسبة إلى سائر الهويات الأخرى. بل إن مكانة هذه الهوية اللغوية تتصاعد إلى درجة تجعل المعجم يضم الشعر الأجنبي المترجم إلى العربية. يقول البابطين في تصدير المعجم: «تندرج في المعجم طائفة من النصوص الشعرية التي قام مبدعوها بترجمتها من لغات

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أجنبية. ولأن الشعر – في التحليل الأخير – فن باللغة، ولأن ترجمته نظمًا هي إبداع موازٍ لإبداع المنتج الأصيل، حرص المعجم على نسبة الشعر المترجم نظمًا إلى مترجمه، مع النص في صدر النموذج على مصدره المترجم عنه»[٣٢]. ويقول الدكتور محمد فتوح أحمد في خطة المعجم الثاني: «كان النظر الحاكم في كل مراحل العمل هو ما دانت به المؤسسة في شتى أعمالها، وما حدد به رسول الإسلام العظيم (ص) مفهوم (العربية) حين قرر أن العربية ليست عربية الأب والأم، ولكن العربية هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي، ومن هنا تجاور في هذا المعجم شاعر من السنغال مع آخر من مصر، وثالث من الهند مع رابع من العراق». فإذا كانت هذه الهوية اللغوية الشعرية وحّدت الأمة قديماً فلم لا توحدها من جديد؟ يقول البابطين: «تمكنا من أن نزيح الستار والعتمة عن قرابة ثمانية آلاف شاعر وهو عدد ضخم وإن كان هناك في مجاهل قارة الشعر العربي آلاف غيرهم لم يتح لنا أن نكتشفهم، وهذا العدد الهائل يثبت أن أمتنا ما تزال أمة الشعر، وما يزال الهاجس الشعري مسيطراً على أجيالها المتتابعة، وسيفاجئ المطلع على المعجم أن الشعر تغلغل في حنايا كل مراتب المجتمع وفي مختلف اختصاصاتهم، سنجد القانوني والطبيب إلى جانب رجل الدين والمدرس، والعامل والفلاح، إلى جانب الموظف والجندي، والغني بجوار الفقير، وصاحب درجة الدكتوراه يشارك الأمي، كلهم انغمسوا في متعة الشعر وبهرهم ألقه، وسنجد الغواية الشعرية تتجاوز العرب إلى غيرهم من الشعوب في مختلف القارات»[٣٣]. هذا الحلم بالهوية اللغوية الشعرية الجامعة نابع من ارتباط العربية بالشعر. يقول اللغوي محمد حماسة عبد اللطيف «الشعر واللغة مرتبطان ارتباطا حميماً. الشعر حفظ لنا اللغة مع القرآن الكريم. والشعر حفظ اللغة بأوزانها وصيغها وتراكيبها»[٣٤].

من الواضح إذن أن ثمة إدراكاً قاراً لدى هيئة المعجم بأن هذا المشروع المعجمي ذو ارتباط وثيق بمسألة الهوية. ولذلك يأتي وصف عبد العزيز السريع له بأنه يضم «مستودعًا للسلوك اللغوي والعاطفي والاجتماعي لمجتمعات مختلفة.. متقاربة.. متباعدة، ولسنوات تمتد من ١٨٠١ إلى ٢٠٠٨م»؛ كما يصفه بأنه «معجمٌ يتجاوز رصد الشعراء وجمعهم، إلى مادة خصبة تكشف للباحث كثيراً من جوانب الحياة والوجدان الإنساني»[٣٥]. ويرى السريع أن هذا المعجم «يتيح لأجيالنا القادمة فرصًا متجددة لدراسة النصوص انطلاقًا من مكوناتها اللغوية، ويفتح أمام القارئ آفاقًا

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

للتأمل في جملة من المفاهيم والعلاقات والمشاعر والرؤى والقيم الجمالية والأخلاقية التي تشكل مع غيرها منظومة مرجعية للعقلية العربية وثقافتها» [٣٦] . وشيئاً فشيئاً تتصاعد من ثنيات الإلمامة التي وضعها السريع في بدايات المعجم الثاني ملامح الحلم بأن يكون للمعجم دوره في بناء (المنظومة المرجعية للعقلية العربية وثقافتها)؛ أي لهويتها. يقول السريع: «إن المعجم يعكس صورة ولو جزئية للثقافة العربية متمثلة فيما خَطَّهُ شعراء العربية على مدار قرنين، والتي تنطوي على رؤى ومواقف وتصورات من بعض القضايا في حياتهم كلها على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وعلى الرغم من أن كثيرًا من أشعار المعجم تفصلها الآن عقود طويلة عنّا فإن تجميعها في مجلداته دليل على تخطيها لتلك العقود ومعايشتها لنا، بل إننا نعيد إنتاجها حينما نتمتع بقراءتها أو نخضعها للبحث والدراسة، ومن هنا تتسرب تلك الافكار والابداعات إلى الأجيال القادمة، وتصبح مرجعاً لمتكلمي العربية، وتشعرهم بالانتماء إلى ثقافة واحدة» [٣٧] . ولعله من المهم أن نلاحظ ذلك التركيز البادي في عبارات السريع على المستقبل. إنه يتحدث عن ممارسة لتنفيذ مشروعٍ/ موردٍ معرفيٍ أُنجِز في الحاضر من أجل تحقيق هوية مرغوبة في المستقبل. ولقد أكدت الدراسات الحديثة في الهوية أن «الهوية والممارسات والموارد، أمور مترابطة لا تنفصم، حيث يشكل كلٌ منها الآخر... ومن المنظور المابعد حداثي فإن الهويات والممارسات والموارد كلٌ منها ينتج الآخر ويرثه» [٣٨] . كذلك أكدت هذه الدراسات أن آمال الشخص للمستقبل جزء من هويته «فمجتمع اللغة الهدف ليس فقط مجتمع الماضي والعلاقات المتشكلة تاريخياً، ولكنه أيضاً المجتمع المتخيل، المجتمع المرغوب الذي يقدم إمكانات الدعم القوي لاختيارات الهوية في المستقبل. فالمجتمع المتخيل يفترض هوية متخيلة» [٣٩]. ولعل هذا ما يضيء المغزى الكامن في عبارة السريع عندما يتحدث عما يمكن أن تفعله أجيال المستقبل بنصوص المعجم حين ترانا ونحن (نعيد إنتاجها ونتمتع بقراءتها أو نخضعها للبحث والدراسة) وحين تتسرب إليهم (تلك الأفكار والإبداعات)، وحين (يشعرون بالانتماء إلى ثقافة واحدة). إنه الحلم باستمرارية هوية تعطي المتعة بالمعرفة والشعور بالانتماء. ومرة أخرى نشير إلى تأكيد دراسات الهوية في علم النفس الاجتماعي أن مشاعر تهديد الهوية عبر الزمن وتغيرات السياق تدفع إلى تأكيدات الانتماء اللغوي، فتبدو اللغة في مثل هذه المواقف وسيلة

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

للدفاع والحماية[٤٠]. ولعله من الشائق الدالّ هنا أن هذه الحقبة التي اشتغل المعجم بجمع شعرائها هي التي شهدت في ربعها الثاني – أي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر – بزوغَ النزعة القومية العربية عند العرب وظهورها شعراً[٤١]، مع ما صاحب ذلك من «الجدل الحاد بين الحفاظ على التراث والحاجة إلى الأخذ عن الآخر... الذي كان يحاول في هذه الحقبة من زمن القرن التاسع عشر نسخ ماضي الأمة ومسخ حاضرها»[٤٢].

أما العتبة النصية الثانية، أعني عتبة (الإهداء)، فهي بدورها تنويعة أخرى للطرق على أبواب الهوية. يقول رئيس الهيئة الاستشارية للمعجم الشاعر عبد العزيز البابطين في نص إهدائه للمعجم الأول: «إلى أمتي العربية الحلم والواقع ... وإلى الشعر العربي في ضميرها الحي، وإلى معلمينا الأوائل أصحاب المعاجم والمختارات ... وإلى الشعراء العرب رسل التنوير والثقافة والتقدم ... أهدي هذا المعجم»[٤٣]. أما في إهداء المعجم الثاني فهو يقول: «وإذ نهدي هـذا المعجم إلى جميع أبناء أمتنا، الباحثين منهم والقراء، والمولعين بالشعر فإننا نأمل أن ينال هذا العمل الكبير رضا المطلعين عليه»[٤٤]. ومن الواضح أن ثمة كلمتين تشعان بروزاً في الإهداءين: الأولى هي كلمة (الأمة): كانت في المعجم الأول (أمتي) بضمير الملكية للمتكلم المفرد، وكانت في المعجم الثاني (أمتنا) بضمير الملكية للمتكلم الجمع. إنها (الأمة) الحاضنة لهوية الذات ولهوية الجماعة. والكلمة الثانية هي (الشعر) الذي عبر عنه الإهداء الأول بأنه الضمير الحي للأمة، والذي جعله الإهداء الثاني مناط الولع، أي مناط التعلق الشعوري الممعن.

وإذا كان خطاب أي نص لا يقتصر على ما يثبُت في متنه الحاضر، وإنما يمتد إلى ما لم يثبتِه، أي إلى دلالة ما غيبه عن الذكر والإثبات، فإننا نكون مطالبين هنا بتأمل ما أشار المعجم الثاني إلى استبعاده من نصوص. ولقد ذكرنا أن استبعاد هذا المعجم للنصوص التي «تتعرض للأديان والعقائد»، أو النصوص «ذات المضمون السياسي المباشر»، إنما هو صادر عن رؤية تريد للمعجم أن يكون حجراً في بناء الهوية العربية المشتركة، أي أن يكون أداة تجميع لا تفريق. وهذا في الحقيقة ما يتم الإعلان عنه صريحاً في (خطة) المعجم حين يرد فيها «من المحاذير التي راعاها المعجم وحرص على اجتنابها تلك النماذج التي تتعرض للأديان أو العقائد أو الأعراق أو الأخلاق، لأن هذه النماذج تفضي إلى التفرقة والاستقطاب والانكفاء، حين يحرص المعجم على

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

وحدة الصف والكلمة جميعًا»[٤٥]. ونضيف هنا أن المعجم استبعد ثلاثة أنواع أخرى من النصوص هي:

«النماذج التي تمس الثوابت الوطنية والقومية، أو تقدح في مذخور الأمة وتراثها العريق».

نصوص «الذمّ والهجاء الشخصي، سواء لشخصيّات تاريخية أو معاصرة، ما دام هذا الذمُّ يتسم بالإسفاف والذاتية».

«الشعر الطائفي أو الموجّه، إذا تضمن الإساءة إلى توجهات الآخرين أو تراثهم بشكل صريح، أو كان من شأنه أن يفضي إلى تكريس التشرذم أو ترسيخ ثقافة الكراهية بدلاً من تأصيل فقه الحوار».

ومن الواضح أننا إزاء محاولة بناء هوية نقية صافية. ومهما يكن من إمكان وسم هذه المحاولة بأنها مثالية وغير تاريخية فإن الأمر الذي لا شك فيه هو أننا لسنا إزاء بناء رغبوي هائم للهوية الثقافية العربية. فوضع مثل هذا المعجم نفسه يدل على أننا إزاء ممارسة تجسد نمطاً من أنماط بناء الهوية التي يطلَق عليها في التنظير المعاصر (الهوية السوسيولوجية)[٤٦] التي تعني أن لب العالم الداخلي للذات ليس مستقلاً أو مكتفيا بنفسه، وإنما يشكله الحوار المتواصل في علاقته التفاعلية بالآخرين الذين توسطوا بينه وبين القيم والمعاني والرموز؛ أي علاقته التفاعلية بالثقافة القائمة في العالم الذي يعيش فيه. هذا من جهة واضع المعجم؛ أما من جهة المعجم نفسه، فهو دعوة تحريضية للقارئ العربي للدخول في بناء هذه الهوية السوسيولوجية من خلال التواصل مع القيم والمعاني والرموز الإيجابية في الثقافة التي تحملها النصوص الشعرية في تجسداتها التي لا تكرس لعوامل الصراع والتشتت. ولعلنا هنا نتذكر أرنست رينان حين قال إن مما يشكل المبدأ النفسي لوحدة الأمة: «الامتلاكُ العام لإرث غني من الذكريات، وإرادةُ استدامة التراث»[٤٧]؟!

هذا المنظور المضمر لبناء هوية معينة لدى المستهدفين بالمعجم يريد ضمنياً أن يرسخ حقيقة أنهم حين يرون ذواتهم في هذه الهويات الثقافية، وحين تنبني داخلهم في الوقت نفسه قيم هذه الهويات ومعانيها فيشعرون أنها صارت جزءاً منهم، فإن هذه الحقيقة نفسها تساعدهم على ربط مشاعرهم الذاتية بالأماكن الموضوعية التي يشغلونها في العالم الثقافي والاجتماعي. فالهوية في هذا المفهوم السوسيولوجي تجسر

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الهوة بين (داخل) الذات و(خارجها)، بين عالمها الداخلي والعالم الخارجي، وذلك من خلال انخراط هذه الذات في نسق التمثيلات الثقافية: سرديات الأحداث التاريخية، والرموز القومية، والطقوس والشعائر والأبطال والتجارب وأيام النصر ومرارات الهزائم....إلخ [٤٨]. وفي الوقت نفسه فإن اللواذ بهذه الهوية يمثل في اللاوعي الإيديولوجي لواضعي المعجم مقاومة ضمنية لزحف هوية الهجانة hybridity والتشظي والتشذير إلى آخر ما تنظّر له فلسفة ما بعد الحداثة وما تمارسه عمليات العولمة.

المعجم والتخطيط اللغوي ثلاثي الأبعاد:

ثمة تعريف للتخطيط اللغوي مؤداه أنه «عمل مقصود للتأثير على لغةٍ، أو تنويعة لغوية، من جهة وظيفتها أو بنيتها أو اكتسابها، داخل مجتمع لغوي معين» [٤٩]. غير أن فكرة (القصدية) الواردة في هذا التعريف ربما تكون مضللة إذا كانت تعني أننا لكي ندرجَ عملاً ما في مظلة التخطيط اللغوي فلا بد أن يكون عملاً مباشراً في استهداف هذا التخطيط. فالحقيقة هي أن هناك كثيراً من الإجراءات والممارسات التي تؤثر في وظيفة اللغة أو بنيتها أو اكتسابها ولا تكون بالضرورة مقصودة بشكل صريح ومباشر. ولذلك يقول بيرنارد سبولسكي إن «التخطيط اللغوي يشهد تحولاً من النظر إليه على أنه وظيفة الدولة أو المؤسسات إلى النظر إليه وإلى السياسة اللغوية على أنهما يحدثان في كل المستويات من أكثرها رسمية إلى أقلها رسمية» [٥٠]. وتأكيداً لهذا المسار يذهب بعض الباحثين إلى تعريف التخطيط اللغوي بأنه «كل قرار أو فعل يؤثر على استعمال اللغة» [٥١].

وعلى أية حال فإن هناك ثلاثة اتجاهات مترابطة في نظرية التخطيط اللغوي. ولعل من أجود الصياغات الدقيقة في التعريف بها ما قدمه الدكتور عبد الله البريدي [٥٢]:

تخطيط المتن corpus planning: ويطلق عليه عبد الله البريدي (تخطيط هيكل اللغة)، وهو عنده «يشتغل على الأبعاد الداخلية للغة ذاتها، حيث يعنى بالجوانب اللغوية الصرفة، ومن ذلك ما يتعلق بالقواعد والأساليب والكلمات والمصطلحات والمعاجم، والإبداع والاقتراض اللغوي بما في ذلك الاعتراف الرسمي بالكلمات الدخيلة ونحو ذلك».

وتخطيط المكانة status planning: ويطلق عليه البريدي أيضاً (تخطيط وضع

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

اللغة)، ويذكر أنه يركز «على الأبعاد الثقافية والمجتمعية ذات الصلة بوضعية اللغة ومكانتها ومنسوب احترامها في المجتمع، ويدخل في ذلك ما يتعلق بوضع اللغة ودرجة إلزامية استخدامها كونها اللغة الرسمية أو اللغة المستخدمة في هذا المجال أو ذاك».

وتخطيط الاكتساب acquisition planning: «ويتمحور هذا الضرب من التخطيط على العوامل المتصلة بمسائل اكتساب أو إعادة اكتساب اللغة (الأولى أو الثانية) والمحافظة عليها وصيانتها».

والسؤال هنا هو: إلى أي مدى يمكن أن يكون معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين عملاً يسهم في اتجاهات التخطيط اللغوي الثلاثة؟.

ولنبدأ بتخطيط المتن، أي بما يمكن أن يقدمه المعجم من إسهامات تتعلق بجوانب اللغة النحوية والأسلوبية والمعجمية والمصطلحية. ولا شك أن المادة الشعرية المجموعة في المعجم تقدم صوراً متنوعة للظواهر اللغوية العربية بين وجهتي الثبات والتغير. وهذه المنطقة – كما تقول جوليا سالابانك– «هي التي يكون فيها للمواد التوثيقية وللسانيين دور يُلعَب في وصف اللغة الذي هو أمر ضروري لتخطيط المتن...فالمواد التوثيقية يمكن أن تمدَّنا بالعينات الإثباتية لإنتاج المعاجم، والقواعد، ومواد تعليم اللغة» (٥٣). ولعلنا في هذا السياق نذكر أن المادة اللغوية التي يتضمنها معجما البابطين تمثل مساحة تاريخية بالغة الأهمية بالنسبة لمشروع المعجم التاريخي للعربية. ولا شك أن معرفة المفاصل الزمنية والجغرافية في حياة العربية مسألة بالغة الأهمية لأنها تسمح بمعرفة آليات تطور اللغة وتغيرها، كما تسمح بمعاينة عناصر الثبات ومظاهر التحول في هذه اللغة. كذلك فإن هذه المادة الغنية توفر موضوعات بحثية للدراسات الأكاديمية حول البنى المعجمية للمجالات الدلالية التي تتضمنها نصوص المعجم، أو حول ظواهرها الأسلوبية، أو حول قضايا الخطاب والحجاج فيها، أو حول أبعادها اللسانية الاجتماعية أو اللسانية الثقافية...إلخ. مثل هذه الآفاق

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

في التخطيط المعرفي للعربية أصبحت بفضل هذا المعجم مشرعة للدخول فيها. وأتصور مثلاً أن وجود معجم شعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وإتاحته الرقمية للباحثين، لن يدع مجالاً لأن تقول دارسة للشعر في القرن التاسع عشر «والدارسة لا تزعم أنها أحاطت الفترة موضع الدراسة وواقعها الأدبي بجميع جوانبه الإحاطة الشاملة المتكاملة، فهذا مما يعجز عنه فرد بعينه، لاسيما أنه يتعسر الاطلاع أو الإلمام بنتاج جميع شعراء القرن التاسع عشر باختلاف ثقافاتهم وبيئاتهم ومشاربهم واتجاهاتهم الأدبية، إذ إن كثيراً من النتاج الأدبي مازال مغموراً، أو مفقوداً، أو في مكتبات الشرق والغرب مخطوطاً، أو متناثراً في الصحف والمجلات»[٥٤].

أما عما يمكن أن يسهم به معجم البابطين بالنسبة إلى تخطيط مكانة العربية فنحن إزاء أهم مجال يثري من خلاله هذا المعجم ترسيخ الأبعاد الثقافية والمجتمعية ذات الصلة بوضعية العربية ومكانتها وتعزيز صورة عطائها التاريخي.

وإذا اتجهنا أخيراً إلى الأدوار الضمنية التي يمكن أن يلعبها المعجم في تخطيط اكتساب العربية فإننا نشير ابتداء إلى ذلك السؤال المطروح في اتجاهات اللسانيات التطبيقية التربوية الحديثة حول تنمية الأدب كمدخل لتعليم اللغة؛ وهو: ما الاتجاهات الحديثة في تعليم اللغة العربية من خلال الأدب في ضوء الدراسات والبحوث المعاصرة[٥٥]؟ وقبل أن نشير إلى طبيعة هذه الاتجاهات نقف أولاً عند شهادة ناجمة من واقع الخبرة الذاتية؛ وأعني بذلك شهادة الشاعر والمتخصص في الدرس النحوي العربي الدكتور حماسة عبد اللطيف، حيث يقول: «من واقع تجربتي الشخصية في تعليم العربية ومحاولة فهمها وإفهامها ومعرفة أسرارها أكثر من أربعين سنة...أقول: إن فهم الشعر عنوان على فهم العربية، وليس فهم العربية عنواناً على فهم الشعر. فالذي يفهم الشعر ويتذوقه قادر – بلا شك – على فهم اللغة وإدراك تراكيبها. وأقول أيضاً: إن اللغة تكون بخير إذا كان جمهرة كبيرة من أهلها قادرين على فهم الشعر وتذوقه. ومن هنا أجد أن الاهتمام بالشعر اهتمام بالعربية»[٥٦]. هذا

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

المشروع المعرفي في تعليم اللغة من خلال الأدب يتجاوب في استبصاراته النافذة العميقة مع ما نراه يتردد في بعض الدراسات الأسلوبية المعاصرة؛ حيث تمثل كتابات كل من برومفيت Brumfit صاحب كتاب (الأدب وتعليم اللغة) (١٩٨٣)، ورونالد كارتر R. Carter صاحب كتاب (اللغة والأدب) (١٩٨٢)، و ويدوسون Widdowson صاحب كتاب (الأسلوبيات وتعليم الأدب) (١٩٧٥) وكتابات أخرى كثيرة كلها تمثل ذخيرة رائدة في دراسات جدوى التحليل المنهجي للنصوص الأدبية في خدمة تعليم اللغة. وها هما محررا كتاب (الأدب، والأسلوبيات ومتعلمو اللغة)[٥٧] الذي صدر ٢٠٠٧م يقولان إن مبدأ (الأدب مادته اللغة) هو أحد المبادئ القائدة في الأسلوبيات خلال الأربعين عاماً الماضية. وعلى ضوء التطورات الحديثة في تحليل الخطاب والدراسات الإدراكية فإن الأسلوبيات أصبحت أمراً أكبر من مجرد تفاعلٍ بين اللسانيات والأدب، إنها في وقت واحد إمكانية لتدريس الأدب وأيضاً إمكانية للاستدلال على كيفية عمل اللغة. ففي هذا السياق المعرفي إذن يكتسب المشروع المعجمي الذي نحن صدده قيمته وأهميته في التخطيط لاكتساب العربية.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

خلاصة:

حاولت هذه المقالة أن تبين انتماء المشروع المعجمي لمؤسسة البابطين إلى اللسانيات التوثيقية، ومن ثم قامت بتحليل أبعاد أهمية المشروع بالنسبة إلى التخطيط اللغوي للعربية. وبهذا الخصوص فإن المقالة أكدت الأدوار المتضمنة في نهوض المشروع بتعزيز الهوية الثقافية، وبخدمة الدراسات اللسانية للعربية، وبخاصة فيما يتعلق بمشروع معجمها التاريخي، وتغيرات أنماطها التركيبية، واتساع مادتها المعجمية، وفي مستجدات المجالات الدلالية داخل الحقبة الزمنية للمعجمين. ثم أشارت المقالة إلى أدوار المشروع المعجمي بالنسبة إلى الأنواع الثلاثة من التخطيط اللغوي، وبخاصة تخطيط الاكتساب حيث العلاقة القائمة في الدراسات الحديثة بين الأدب واكتساب اللغة.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الإحالات والحواشي:

١- د. محي الدين محسب: مؤسساتنا اللغوية: من تخطيط الهوية إلى التخطيط التفاعلي. ورقة مقدمة في مؤتمر مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية (٧-٩/ ٥/ ٢٠١٣م).

٢- انظر: د. محي الدين محسب (٢٠٠٨): انفتاح النسق اللساني. دار الكتاب الجديد المتحدة- بيروت.

٣- انظر: د. محي الدين محسب: التحول الأبستمولوجي في مفهوم الإدراك الذهني وواقع تلقيه المصطلحي في المقابلات العربية. (تحت النشر).

٤- راجع:

Morgan، Brian (2007). Poststructuralism and applied linguistics: Complementary approaches to identity and culture in ELT. In: J. Cummins & C. Davison (Eds.): International handbook of English language teaching (Vol. 2) (pp. 949-968). Pp.950- 951. Norwell، MA: Springer Publishers.

5- Turner, John C.; Oakes, Penelope J.; Haslam, S. Alexander and McGarty, Craig (1992): Self and Collective: Cognition and social context. PDF on: psychology.anu.edu.au/.../Manuscripts-4-Self-and-Collective

6- Frawley، William; Hill، Kenneth C. and Munro، Pamela (eds.) (2002): Making Dictionaries: Preserving Indigenous Languages of the Americas. (Berkeley: University of California Press). p.22.

7- Caruso، Valeria: Online Specialized Dictionaries: A Critical Survey. In: Iztoc Kosem and Karmen Kosem (eds.): Electronic lexicography in the 21st century: New Applications for New Users. Ljuljana Institute for Applied Slovene Studies.

8- Lew، Robert (2015): Dictionaries and Their Users. In: International Handbook of Modern Lexis and Lexicography. Springer-Verlag Berlin Heidelberg .

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

9- Erll، Astrid and Nünning Ansgar (eds.): (2008): Cultural Memory Studies: An International and Interdisciplinary Handbook. Walter de Gruyter · Berlin · New York.
10- Ibid. p. 2.
11- Ibid. pp. 77- 137
12- Ibid. pp. 301- 353.
13- Ibid. p. 2.
١٤- في السنوات الأخيرة بدأ يتضاءل التفريق الحاسم بين (التخطيط اللغوي) و(السياسة اللغوية). انظر للتفصيل:
Ferguson، Gibson، (2006): Language Planning and Education. Pp. 16- 17. Edinburgh، Edinburgh. University Press Ltd.
15- Gippert، Jost ; Himmelmann، Nikolaus P. and Mosel، Ulrike (eds): (2006): Essentials of Language Documentation. P. v. Walter de Gruyter ، Berlin.
16- Ibid. pv.
17- Bergenholtz، Henning ; Gouws، Rufus H: What is Lexicography? P.39 ، in: Lexikos 22 (AFRILEX-reeks/series 22: 2012): 31-42.
١٨- تعود أولى المدونات اللغوية الحديثة إلى عام ١٩٦١ وتعرف بمدونة براون Brown Corpus، وتضم مليون كلمة. انظر:
Bennett، Gena R. (2010): Using Corpora in the Language Learning Classroom:
Corpus Linguistics for Teachers. . P.2. University of Michigan Press.
19- Ibid. p. 129 ff.
20-Akinlabi،AkinbiyiandConnellBruce:TheInteractionofLinguistic Theory، Linguistic Description and Linguistic Documentation. On: www.rci.rutgers.edu/~akinlabi/Documentation-Akinlabi-Connell.pdf.
٢١- د. محمد فتوح أحمد: خطة المعجم: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرينالمنهج والإجراءات. في : معجم البابطين لشعراء العربية.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

٢٢- عبد العزيز البابطين: تصدير: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

23- Bergenholtz، Henning: The role of linguists in planning and making dictionaries in the modern information society. ASIALEX] The Asian Association for Lexicography[8th conf. Proceedings 2013 – P. 1.

24- Michael Cooperson (2000): Classical Arabic Biography. P. Xi. Cambridge University Press.

25- Bergenholtz، Henning & Rufus H. Gouws: What is Lexicography? Op. cit. p.35، (ومواضع أخرى).

٢٦- نأخذ هنا بتعريف البنية المعلوماتية information structure عند هاليداي Halliday وذلك حين أشار إلى أن توزيع الخطاب إلى وحدات معلوماتية أمر إجباري؛ بمعنى أن النص يجب أن يتكون من سلسلة من مثل هذه الوحدات». وعند شاف Chafe البنية المعلوماتية هي «ظاهرة تعبئة المعلومات التي تستجيب للحاجات التواصلية القائمة بين المتخاطبين». انظر لمزيد من التفصيل:

Kügler، Frank: Information Structure –basic concepts and its realization : cross-linguistic perspective. On: www.ling.uni-potsdam.de/~kuegler/docs/2014.Koeln.IS.kuegler. pdf.

٢٧- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين.

٢٨- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

٢٩- السابق نفسه.

٣٠- السابق نفسه.

٣١- السابق نفسه.

٣٢- السابق نفسه.

٣٣- السابق نفسه.

٣٤- طاهر خان آيدين: من أعلام اللغة العربية: الشاعر واللغوي محمد حماسة عبداللطيف. ص٢٧٩. في:

Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi، 52:2(2011)، ss. 267-290.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

على:

dergiler.ankara.edu.tr/dergiler/37/1633/17512. pdf.

٣٥- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

٣٦- السابق نفسه.

٣٧- السابق نفسه.

38- Norton، Bonny & Toohey، Kelleen (2011): Identity، Language Learning، and Social Change. P. 415. In: Language Teaching Journal (Volume 44، Issue 4). Cambridge University Press.

39- Ibid. p. 415.

٤٠- انظر:

Jaspal ،Rusi: Language and Perception of Identity Threat. In: Psychology & Society، 2009، Vol 2(2)، 150- 167. on: epubs.surrey.ac.uk/.../Coyle%202009%20Language%20and%20ID%20t...

٤١- منال سليم سالم النخال: الشعر العربي في القرن التاسع عشر الميلادي/ الثالث عشر هجري: أغراضه - ظواهره - اتجاهاته - قضاياه. ٢٠١٣م . ماجستير في قسم اللغة العربية - كلية الآداب- الجامعة الإسلامية - غزة ص: ع.

٤٢- من توطئة الدكتور محمد فتوح أحمد لمعجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

٤٣- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين.

٤٤- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

٤٥- السابق نفسه.

46- Hall، Stuart: "The Question of Cultural Identity". In: Stuart Hall، David Held، Don Hubert، and Kenneth Thompson (eds.): Modernity: An Introduction to Modern Societies. P. 597. Blackwell Publishers. (1995).

47- Ibid. p. 615.

٤٨- راجع المرجع السابق نفسه: pp.٥٩٧- ٥٩٨.

49- Robert، Kaplan B.، and Baldauf Jr، Richard B. (1997): Language

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

Planning from Practice to Theory. Clevedon: Multilingual Matters ltd.

50- Spolsky، Bernard (2004): Language Policy. Cambridge University Press، Cambridge.

51- Sallabank، Julia (2012): From language documentation to language planning: Not necessarily a direct route. In: Language Documentation & Conservation. Special Publication No. 3 (August 2012): Potentials of Language Documentation: Methods، Analyses، and Utilization، ed. by Frank Seifart، Geoffrey Haig، Nikolaus P. Himmelmann، Dagmar Jung، Anna Margetts، and Paul Trilsbeek. pp. 118–125. On: eprints.soas.ac.uk/17331/1/16sallabank. pdf.

٥٢- د. عبد الله البريدي: التخطيط اللغوي : تعريف نظري ونموذج تطبيقي. ورقة مقدمة في: الملتقى التنسيقي للجامعات والمؤسسات المعنية باللغة العربية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية. ٧-٩ مايو٢٠١٣م.

53- Sallabank، Julia. Op. cit.، p. 119.

٥٤- منال سليم سالم النخال: الشعر العربي في القرن التاسع عشر الميلادي/ الثالث عشر هجري. سبق ذكره. ص: ع.

٥٥- د . عبد الرحمن كامل عبد الرحمن محمود: تنمية الأدب كمدخل لتعليم اللغة العربية. ص٨. على:
.maktabah.com/.../TnmeatALadbKmodkalLeALtaleem

٥٦- د. محمد حماسة عبد اللطيف: شعر الأطفال عند أحمد شوقي.(مجلة إبداع – العدد٥- شتاء وربيع ٢٠٠٨م) ص١١٩.

57- Watson، Greg and Zyngier، Sonia (2007): Literature and Stylistics for Language Learners. Palgrave Macmillan.

وانظر في هذا الكتاب بصفة خاصة مقالة:
.Peter Stockwell: On Teaching Literature Itself

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً